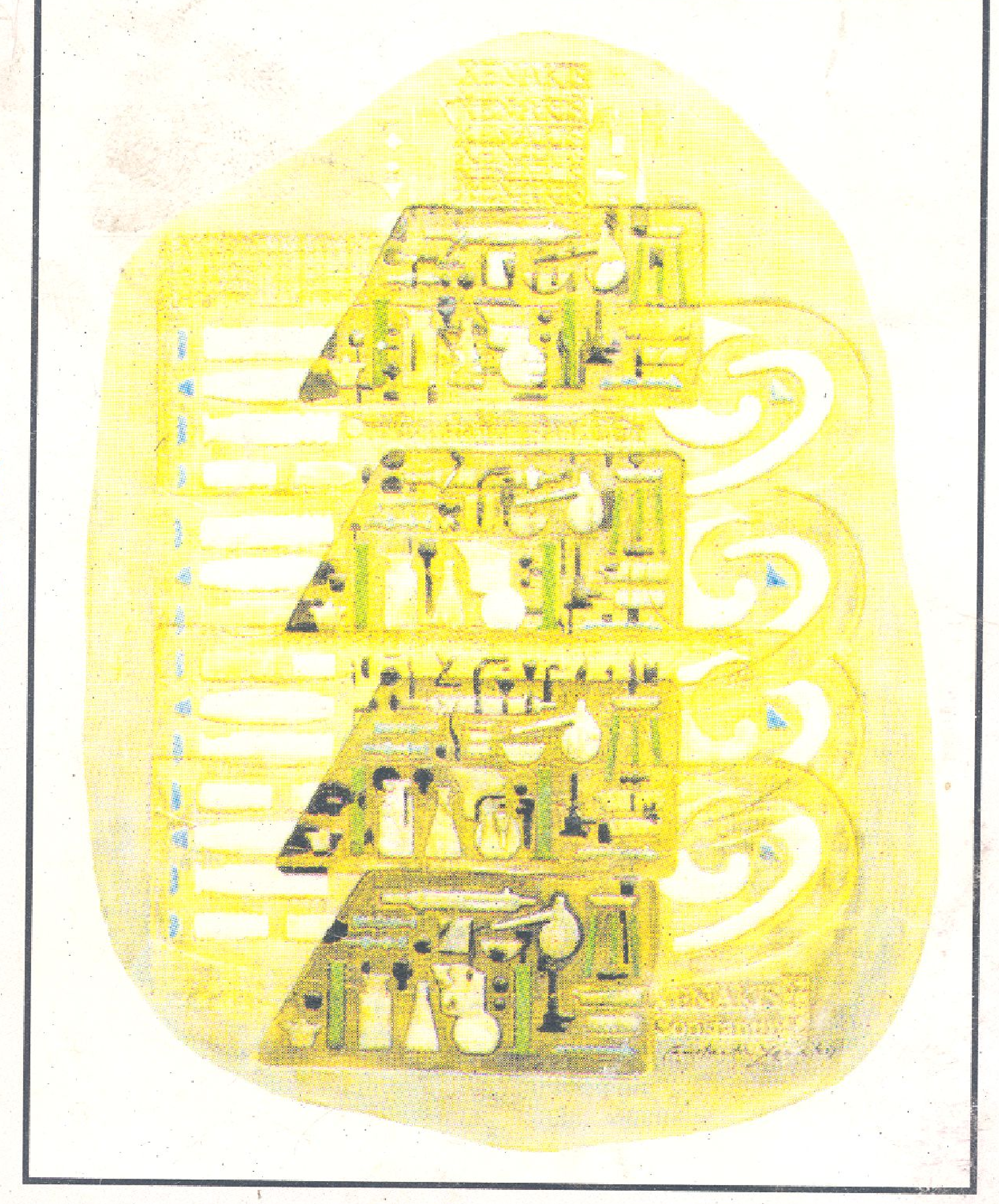
وسام جلال الدويك

يرجع العاديون مكبلين بالياسمين

شعر



أول فبراير ١٩٩٩



يرجع العاديون مكبلين بالياسمين

شعر

وسام جلال الدويك


الهيئة العامة
لقصور الثقافة

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إبداعات / (نصف شهرية) / العدد : ٧٨
يرجع العاديون مكيلين بالياسمين / شعر / وسام جلال الدويك
لوحة الغلاف : للفنان اليونانى / قسطنطين كسيناكيس
الطبعة الأولى / أول فبراير ١٩٩٩
رقم الإيداع / ٩٩/٣٤٥٧

المراسلات : باسم رئيس التحرير
على العنوان التالى ١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى
رقم بريدى : ١١٥٦١

مقدمــة

دع الأبواب تفتح لى .. كى يمكن أن أقول مارأيته هناك .

(كتاب الموتى)

الإهـــــداء

إلى العاديين، نحن، وإلى رفاق الكلمة .

وســـام

سماء ثامنة، وصفة أولى

(ممارسات)

١- ممارسات ماقبل الميلاد

كانت ضلوعه مزروعة فى كفى الأيمن،

وامرأة عطشى

تعجن له قفازاً من الزيتون

وكنت

صفة .

٢- ممارسات الولادة

كرسى من الخشب الكالح

ونسوة متجعدات

وملح،

نهار غيمى

– أنت لست هنا

– أنت لا تريد أن تأتى

قالتها .. ثم بكت

فكنت صفتين.

٣ - ممارسات الحياة

متى قابلتكِ عند شجرة عذراء ؟

الرمل مازال مؤثرا فيكِ،

كيف سأنقذك من الإعياء بعدما

أوقع فوق الشجرة ؟

صارت الدمعة كحلاً

« أيها المجنون.. أحبك »

قالتها

فكنت ثلاث صفات.

٤- ممارسات الموت

دم ينثال من كبد سماء ثامنة

فهل كنت هناك ؟

دم.. هما الوجنتان

ليت لي جناحاً لأضمد الجرح

« ميت أنت »

قالتها السماء الأولى.

٥- ممارسات البعث

رب من الماء، ولامعبد لى

كيف أذنت نواقيس فيكم ؟

أوردة ، وطين ، وقلب رخامى

« الريشة أثقل من القلب »

قالتها السماء الثامنة

فعدت صفة أولى .

فبراير ٩٢

بلل طرف اصبعك
من النهر... وعد

١- مصرع قرنفلة سقوطاً من شباك القطار

لأنها لم تعد تساوى أكثر من خيط

انفلت من كوفيتك البنية

فسوف تتحمل – وحدك –

برودة الأعمدة المطفأة وصفير صراصير الحقل

وخمسة كلاب يعترضون

عودتك متأخراً فى شارع المحطة.

٢- كم عدد قطع القش الصغيرة فى سيجارته ؟

حين اكتشف أن عدد السجائر أربع

وأن النشع.. فى جدران بيته الطينى .

رداء شفاف

وأن حبيبته القتيلة

لم تكن طفلة

استسلم لأول اصبع من أصابع العاصفة

فأشعل طرف النيل الإسفلتى

بعد ارتفاع أسعار التبغ مؤخراً.

٣- لا وجود لهما / له

وردة بلاستيكية

تحوم حولها نحلة

وترجع إلى عشها محملة بالرحيق

ثم تحوم حول الوردة ثانية

وترجع إلى عشها محملة بالرحيق

ثم تحوم حول الوردة ثانية

وترجع........

....

ظل هذا يحدث لمدة نصف الساعة

– هل كانت النحلة بلاستيكية

والوردة لا وجود لها ؟

٤- الشرطة الفرنسية تغلق متحف الفنون الحديثة

عبثاً.. تحاول الموناليزا أن تبتسم

عبثاً.. يحاول أن يجعل الموناليزا تبتسم

عبثاً ..

أحاول أن أكتب عنهما.

٥- بلل طرف أصبعك من النهر، وعد

على الشاطئ الآخر من أى نهر
كانت تسير
رائحتها تذكره بمكان ما لم يره،
لكن يفتقده دائماً
على الشاطئ الآخر من أى نهر
لم تكن تسير
ولم يكن يدرك
أن هنالك فقط
صفوف النخيل
والقمائن !!

ديسمبر٩٢

وهذا ما يستطيع فعله الآخرون،
بينما لا أستطيع أنا

(١)

ها أنت – مضطراً –

تجلس على كرسيك الخشبى المتحرك .

يدفعك المارة الطيبون

بينما تقذفهم بأكياس « اللب الأسمر »

منتظراً – من الواحد منهم –

خمسة قروش.

(٢)

مهرولا

خلال حقلك المخضر أحياناً

وخلال الندى

على كتفى رداء ابنتك الأزرق

كى تلحق بقطار السابعة صباحاً،

والنسوة

مطلات من طاقات الحائط

يتثاءبن

ويرمقنك بنظرة

ليست تنم عن شىء.

(٣)

كان شباك ما مغلقاً

وشجيرات الصبار

- على جانبى الطريق الإسفلتى -

تثير فيها سؤالاً :

« ماذا كان يفعل فى ميدان رمسيس

وسماء ١٤ ديسمبر تكافئه أخيراً

بينما ماسح الأحذية

- ذو القدم المقطوعة -

يلملم أشياءه المتسخة

محاولاً الفرار من .....؟!

(٤)

المهرج العجوز

بمساحيقه المضحكة

يتوسط خشبة المسرح

حاملاً جثة طفلته

بينما ضحكات الجمهور تهز القاعة
ولا أحد
يستطيع إنزال الستار.

(٥)

كان مكاننا
– على كورنيش النيل –
مشغولاً
وأنا – وحيداً –
أتذكر كل شيء
إلا
ملامحك.

(٦)

يناقش تماثيل الميادين،
يتسلق أعمدة الكهرباء ليلاً
يطبق الكبارى
ليضعها فى جيب سرواله
ثم يصرخ: هل من نهاية؟

كان يفعل هذا

كطقس يومى !!

(٧)

هذا الصباح

لن ألقى التحية عند انعطافة الجامع،

هذا الصباح

لن يرد جارنا العجوز التحية،

هذا الصباح

لن يلتقى بخار الماء الخارج من فمى

بدخان سيجارته الملفوفة

لأنهم - ببساطة -

بعد صلاة عصر الأمس

شيعوا جنازته .

ديسمبر ٩٢

يرجع العاديون مكبلين بالياسمين

« حـدث هذا فـى العـصـر الذهبى، وسـمـى ذهبـيـاً لأن الذهـب كـان لا يساوى شيئاً »

عندمـا كـانت تـخـيط كـراسـى الأوتوبيس فـاجـأتـهـا برقـصـة الفـلامنكو/ ينتـابنـى شـفق وأربعـة جـدران.دون سـحـابة.. أو عنكبـوتة / لماذا أصـر المزلاج على الاحـتكاك بيلوزتهـا ؟ / هكذا تبيض وجوه / مقبض الباب يلمع ، مشيراً: أن اخـرج / خاطت الجرح دون تخدير، وأصرت أن أبنـى معبدين.. فدعكتُ أناملها/ لاحـرج أن تقبلنى فى الظلام، فـمـا قـرأ الموت نصـاً واحـداً من نصوص تابوتنا.

(يصـر صـاحـبى أنه : تـابوتانا المـزوجـان)/ هكذا تبـيض وجوه.

●●

البنات الصغيرات جداً
يتممن نقش الجدود على لوحة الإردواز
ينزعن أجنحة الفراش الملون
يثقبن معدته في هدوء.

••

المتن الأول : كسر أعناق طيور ، ارتعاشة مومياء، بللورية
ضوء قدم ساقك اليسرى
التفسير :
« لا تقل مات،
بل قل : انتقل إلى العالم الغربى »
المتن الثانى : صعد كائن بشرى ليواجه ضوءاً انهارياً
التفسير :
« بماذا يوحى لك قولها :
دى عنخ چت
حياً إلى الأبد

••

مالت إلى ، وفى كفى أناملها تفضى إلى بأسرار عـــلى مــهل
قبلتها خلسة، والناس ترمقنا فاحمر وجه الهوى من شدة الخجل

••

انفـعلت السـيـدة المرتكزة إلى الحـائط - كـشـجـرة جـوز - وأسقطت قشرة السقف البيضاء، وسامحتنى.

أكره الفسيفساء وأعشق البللور/ يفضى بنا سلم إلى دهليز إلى نهدين صـامتين/ كـانت حـملة قـاسـيـة أو شـبـه قـاسـيـة تتـأرجح فى شـفـتـهـا السـفلى/ أطـفـأت مـا تبـقـى من أطـفـال ثم أوقدتهم

فـى رحـــمك الأول / لـم يدعنى يومــاً بالعــائد من مــقــابـر الإسكندرية/ تنافرت خصلات البنت فانسحب الولد عند طرف الكرة/ ماذا لو هززت القفاز قليلاً ؟

••

كان يفضى إلىّ بأسراره،

يحدثنى عن حبيبته بانفعال

ويلفظنى

كى يعود ليسألنى

عن سماء تضاجع أقمارها

حين ينشغل الناس عنها

وحين تطالبه بالصعود.

••

أرخت بدءاً من ٤ يناير١٩٩٣ :

ألق بقيدك فى تابوت

ثم ألق التابوت إلى النهر

وسمِّ النهر بأعمق أسماء الدنيا زرقة

امنح سنبلتك صفة أخرى - غير القصف

وعانق لوتستك عند المسرح

واحمل كتل جرانيت المعبد وحدك

إن اسمك يوحى بصفات أكثر دقة

كان «تشايكو فسكى» يحلم بمسلتنا الأولى

ويراود صخر النوبة حين يباغته الضوء
فتسقط شجرة جميز ورقة.

••

يرجع العاديون مكبلين بالياسمين كى يحلمو «بسميرة منصور» عند شاطئ المتوسط ، فلماذا كانت «سميرة منصور» تحلم ، وتنزع صفة التجمد من الجليد؟ / ثمة محاولة أخيرة ، فمتون التوابيت تتثاء ب / كذلك المنفيون بعثوا.

••

المتن الثالث : مد الذراع الأيمن إلى القرابين، ثم انظر إلى السماء

التفسير :

« ؟ ؟ ؟ »

المتن قبل الأخير:– ربما ينفخ فى الصور فتصحو
– وربما يصرخ أخوك الصغير بجوارك .. فتبعث

التفسير :

« الأصدقاء أمهلوني

سبعة آلاف عام

لأقول لها :

« أحبك »

يناير١٩٩٣

خذ مفتاح الجسد من الشرفة

وحده.. يرسم الليل كهفاً

على جبل من زجاج،

وحده .. يبزغ الفجر من ...

(هل الوقت روح بلا كائن ؟)

وحده يحفر النهر مجراه

هل يقسم القوس بالسهم والسهم بالطير والطير بالأفق

والأفق بالسحب والسحب بالعشب والعشب بالنار والنار بالماء ؟

أم آية تقدم الروح ؟ أم تتشكل – فى حافة النهر – طفلاً ؟

••

دخل التاريخ صومعة الغلال ، متأبطاً ذراع حبيبتى

بعد أن نفض عباءته فى وجهى

(لم يمنعه الزحام من اقتراف جريمته)

خلص رئتيك من الماء / زحام / خذ مفتاح الجسد من

الشرفة / يذهب فىّ نخاع / كن لى / سريالية

ألفاظى ليست تعجب ماكينة طحن القمح / يطل من الشباك

حصان مشقوق الرأس .

••

هل أتاك حديث الجبال

التى طاردت ظلها ؟

والغزالات يأبين أن يعترفن بحق الصخور

أم الحق أن يقسم الماء بالنار والنار بالعشب والعشب بالسحب والسحب بالأفق والأفق بالطير والطير بالريش ؟

(لا يقسم السهم والقوس)

••

العاشقون لا يحترمون صمت المعزين فى الشارع المطفأ

(إلا من ضوء سيجارتى، والشحاذ ذو الوجه الرث - يقتحم خطى لهذه الليلة.

(هل كان ربع الجنيه مبهماً إلى الحد الذى أوشك معه على رفضه؟)

••

هل أتاك حديث الجبال التى طاردت ظلها
والغزالات يأبين أن يعترفن بحق الصخور؟
إذن - وحده يصرخ الآن عند الينابيع
« يا بشروش الحقيقة
يا طائراً ينتقى من نخاعى بذور القرنفل،
ينثر فوق السجاجيد حبات روح
تشكلها آهة الله »
(والوقت قبل هبوب العواصف)

••

لليلة واحدة تتوقف الحناطير، فيوشك الحوذيون أن يفتكوا بى
على الرصيف
طفلة بضفيرتين
على الرصيف المقابل دمية
هل أدركت السيارات الآن لماذا تلمع قطرات مالحة فوق المريلة؟

••

طير خرافى يشدك وريدى

مثل بطريق يثور على الجليد

بسورة الموت البدائى الوليد

خريطة دمه

وأربع شاحنات .. قد يفتشن الرياح -

يعبثن فى

خطو وئيد

••

الأصابع - على مسند الكرسى - متشابهة

/ هل صدمته رائحة السودانى المحمص

فى شارع الجامعة

مساء ؟

والكرسى مازال مبتلا بالأصابع .. والغرابة.

••

قلبان لك ؟ ما أجملك !

وجهان لك ؟ ما أجهلك !

روحان لك ؟ أم للملك ؟

أيها الغجرى الوحيد بلا أبنوس ، بلا غابة يمرح الليل فيها

وهذا الزمان المجفف .. كيف يقيم على حافة النهر ؟

●●

ابحثى إذن عن قطة تلعق البلاط دون أن تشعر بالعطش،

وتحبل فى الحصة الأخيرة دون أن تشعر بالخجل

إلى هذه الجملة الواحدة

تقف العائدة

لم يمد يده

، لن يمد يده

هنا .. والسكون علامة وقف، وليست نهاية.

●●

ملحوظة جانبية :

« لم يذكر تقرير الإسعاف أنه كان يقف في ميدان رمسيس، لابسا بيحامته المخططة، صارخاً فى وجود المارة :

رمث بت تاء ماعت

ناس سماء أرض حـق إلخ إلخ ..»

فهل أعود مبكراً الليلة لأننى لم أحرز هدفى

فلم أعانق فتاة ما فى ممر مظلم ضيق ؟!

مارس ٩٤

« السيدة الموجودة جنوب شجرة الجميز »

(.. وظن أنه الفراق ..)

١ - مقدمات ثلاث لإيغال وحيد

١- نقش

مازال العازف الأعمى

منحنياً على قيثارته

والمدعوات – فى ثبات – ينظرن إلى بعض !

وقد سقطت الألوان :

حفرة فى سماء وسماءُ حجر

كان بعض الفضاء يغلق المنحدر

هكذا الأدعياء فاخترقتُ الحذر

٢- نرد

نموذج بلاستيكى لهيكل عظمى

معلق على جدار رخو

تتقاذفه عرائس النيل

أنتَ

وجه موغل فى مساحه

كف موغل فى خطوطه

طين موغل فى رحيله

أنتَ

وطفلتك الشعثاء التى أكلها فقر الدم

تمر من أمام المقهى

لا تعيرها انتباهك

فأنت تضرب بكفك الطاولة،

تلعن نردك المنحوس.

٣- طبول

رائحة الفوار، صديقتك اليمنية، عد للمنزل، مازال صبى

ما مفقوداً، نجم، لابأس بفنجان القهوة فالغرفة

تتقمصنى، ماذا لو مضغ سماء وتنهد ؟ تشحذ سكينا،

ينزلق المفتاح، ورئتى، مفتوح أو منبسط كالمعول

أو كالمريلة الزرقاء، تسافر ؟ أم تقعد – كعجوز – فى بدنى؟

وطبول ....

٢- أشياء مشتهاة

١- رائحة

قبلة فوق خد الروح تتنامى

فتزهر رحيلاً

وسمسماً

عطر عالق فى كف الوقت

كطفل بدائى

ينسى بكاءه على الجدران

توحدى بى أنت لاتجيد قرع الطبول اشتهاك النوتى منذ ثلاثة مواسم فيضانية.

ماذا قررت القصيدة ؟ سأستعيرك منك ماذا قررت القصيدة؟

لون مفاجأة

ومذاق توجع

ورائحة..

« ريم »

٢- ذاكرة

... وكانت تذكر الأشياء بالعطشى

، وتنمو مثلما الأنهار فى عنقودة

، تغدو كما النعناع

إذ ينسل من بعث

، تباغت فعلها

، تأتى لتنزعنى :

أنا مزقت ذاكرتى

فهل وجع على نهديك أفجؤه

وأرجؤه ؟

وهل شفق بلا أفق ؟

وهل طفل

يبايعنى ؟

٣ - الطائر ذو الصوت الأحمق

١- «عنود»

جديلة

... فقط

٢- بريد

جاء ها فى البريد

– كان مثل السراب –

حُبُّه

فى خطاب

٣- إنتظار

كنت قد فقدت نصف ساعة

لأننى انتظرتها

فجاء نى الرصيف يومها

شاحتا

٤- رياح

أيها الطائر

إن الرياح الآن

تسكن الوقت

فياحبنا إذن لو ....

٥- أحمقان

شكت إليّ من وجع فى ساقها اليسرى

ومن شريكتها فى غرفة المدينة الجامعية

كنا أحمقين

وكان سائق الميكروباص

وحيداً – فى الميدان –

ينتظر

أحمقين .

٦- ووردة

ترى ..

ومن فتح صدرك هكذا

بكلمة ؟

وتركه ينز

أطفالاً

ووردة ؟

يوليه ٩٣

...وأمنية..

(قصص قصيرة جداً جداً)

من وحى بينالى القاهرة الرابع

١- ممسوس

كان يجلس عصر كل يوم

على شاطئ الترعة

التى تخترق قريته

ليصيد السمك

.. هكذا قالت « عروس النيل ».

٢- ارتعاد التماثيل

قطعة من شمس

تخترق كبد ديناصور

فى الغرفة المجاورة

حيث كان يجلس

- دون نظارة -

إلى البيانو الأبيض

نازفاً ...

٣- انتبه

رجل من نحاس

بدون ذراعين

يلتفت إلى اليسار

قلبه مفتوح

على نصف وجه.

٤- تحط

أربع عصافير

فى أوضاع مختلفة :

.. تنقر الحب

– تشرب

– تنظر إلى

– ؟

أربع عصافير

من خزف.

٥- هكذا ...

صدر خاو

إلا من الفراغ

تاج من التروس

وأعواد الحديد الصدئ

مسيج من الصلب

وأمنية ...

٦- ينكسر

نفض رأسه بكفه الأيسر

فالتصقت ذكرياته به

فضربهما بكفه الأيمن ... فانكسر

فضرب الكفين بركبته ... فانكسرت

فضرب رأسه فيهم جميعاً ... فانكسرت

كاد يدركه أنه ...

ينكسر.

٧- نعم

امرأة بلا ساقين

تسير على ريح ضبابية

أراها من الخلف

مسدلة الشعر

تمسك بكفيها (المضمومين إلى صدرها)

زهرة لوتس

.... أراها من الخلف.

٨- فجوة

الجمعة

شجرة – جنة

شجرة منقورة فى الصخر

مفتوحة القلب

كمرآة فى الصخر

شجرة ... تسافر إليك .

٩- موعد

شاى بلا موقد

بلا امرأة

كحل بلا اتئاد

يقترب

شاى بلا موعد.

١٠- مشهد

فى الصيف

هجرته حبيبته

فترك أظفر خنصره

الأيسر ينمو

في الصيف
كان ينام كثيراً
وفي الصيف كذلك
كان ينظر كثيراً
إلى الفساتين القصيرة.

سبتمبر ٩٣

وهذا مافعلته البنت الجميلة ، بألوان الزجاج

- ١ -

« كانت تجلس – وحيدة – فى الغرفة الباردة،
ترتدى أقصر تنوراتها وأجمل مساءاتها،
تنتظم الذى لن يأتى (الذى لا تزعجه البرودة)،
ترسم زورقاً – بالشكل اللائق –
بالألوان التى لا تزول بمجرد لمسها ، أو لمجرد أنها مبتلة»
... هكذا تحدث راعى الأغنام الذى فى مخيلتى.

- ٢ -

ما الذى أيقظ التثاؤب فجأة فىّ ؟
كأنه مارد أسطورى
بعين واحدة
يعبر مفازات الحكايا
/ تناويت البنت الجميلة السهر مع السرير
وغلفت ذكرى الفتى بالفضة المناسبة.

- ٣ -

حيات الوقت المصبوغ بحمرة القلق تتناوب فى لدغها لفروة رأسى، وأنا منبطح - بشكل يوحى بالدهشة فعلاً - بين ورقتين غير مسطرتين أو بين إسفنجتين صغيرتين قطعتهما طفلة أسرع قليلاً من ساعة حائط مشرق هكذا ...

تنبئ الرسوم الجدارية بمن تلتصق معى إلى المكتب الصدئ (فى رواية أخرى : الخشبى المتشقق)، وترضى أن تفزعها «لقالق» الوقت المنتشرة على جدران العام المقبل .

(سأشاركك - بالتأكيد - حبك الألوان ، على ألا تشاركينى حبى لأشياء عديدة).

- ٤ -

ذكرت أمى ذات مره أن الأريكة المختبئة وراء باب غرفة جدتى فى شبرامنت أكبر عمراً من خالى العبوس دائماً .

حييتها على صدقها محاولاً إخفاء « الطباشير » المغشوش فى جيبى بسرعة.

- ٥ -

لوحة جدارية (بين المطبخ ودورة المياه) :

الخال- المذكور سالفاً- برأس أقرب إلى الضفدع أو إلى الديك.

لا أتذكر.

٦- الأحد : الثانية ظهراً

كان جلال يخبئ رغبة ما في الجيب الداخلي للجاكيت الجديد، بينما رمسيس الثاني- بشعره الأبيض الدال على أن رمحاً ما عبر سماء مصر في عصره - مسجى ، وينظر بالمقلوب إلى سقف حجرة المومياوات ، باحثاً عن فعل مضارع يلائم الناطقين بالعربية أكثر.

/ أأدركت الآن لماذا ناديت جلالاً بأيها المتمدد في غنى التابوت ؟

لعل الذى نام فى مدخل « شبرامنت » يفتكر
فينا ، فلا تبلل جنبيه نفس الترعة التى

تخوض فى النهر حتى الحزام ، والتى تبهر الصغار
بجنياتها اللواتى يمنحن خصور هن - خصوصاً
فى الصيف - أكثر أشعة الشمس استقامة
وأكثرها صبراً على الانتظار على الحافة

٧ - السبت : الواحدة ظهراً

أدركت أن :

١- العدسات بحاجة إلى تغيير منذ أكثر من ستة شهور
(ملحوظة: هذا لاعلاقة له بذلك العنكبوت المتكوم فى ركن العدسة اليمنى)

٢- أسنانى الأمامية بحاجة إلى تلميع.
(ملحوظة: هذا لاعلاقة له بأننى أغلقت فمى على «فلتر» صدئ منذ أكثر من ستة شهور كذلك)

٣- حوائط الغرفة تميل إلى الخارج كلما انكبت على نص جديد ، وتميل إلى الداخل كلما كنا فى الغرفة وحدنا.
(ملحوظة: هذا لاعلاقة له بلون الجدران الباهت، ولابرغبتى المستمرة فى احتضانك بقوة بعيداً عن أعين الجدران المتلصصة)

٨- الأعمدة الجرانيتية تلد نساء وفستقاً

«الأزبكية» أكثر استجابة للنيون، ولايعادلها فى هذا سوى منتصف شارع «يحيى بن زيد» كنت أخبئ نجمتين وجريدة تحت إبطى الأيمن هواء ما يرغب فى فك أزرار «البلوفر» ميدان التحرير فنجان قهوة مسكوب على شاطئ النيل (ذلك العجوز المسجى- باختياره على أول أرض هبط إليها) كنت لا أحب أن أزوره بالنهار لأن البردى يكون واهماً أنه بشراسته يصنع قوس قزح مختلفاً).. إلخ

٩- الخميس: الثانية عشر ظهراً

«كان الزجاج يصيح معلنا- فى شبه مظاهرة – أنه لم يكن يريد أن يشكل بهذه الصورة بينما «البنت الجميلة » -وببراءة شديدة فعلاً- تقوم بتلوينه وفق ترتيب أولويات الألوان عندما تمر بين سمائين وتنظر من فوق على نفس الزجاج الذى مازال يصرخ معلنا – ولكن بحدة أقل – أنه لم يكن يريد أن يتشكل بهذه .. بينما ...»

... هذا ما لم يخبرنى به راعى الأغنام الذى فى مخيلتى

مارس ٩٤

ما أسوأ أن تطفئ جسداً ..
.. برحيل

مقدمة

لنتفق

على أن هناك طفلة

تفترش أرواحنا

لتجلس القرفصاء

مشهد أول : نهار / خارجى

عمال النظافة

– فوق كوبرى فيصل –

يقومون بجهد كبير

لغسل أوجاع الصبى

(قطع)

مشاهد أخر

١– ترى ماذا كانت تفعل

عندما كان يبله الأرق ؟

٢– آن له الآن

أن يفتح سنبلة القلب

٣- كيف أضاء ت نجمة كهربية
كعبه المبتل بالذهاب ؟

(قطع)

ليل/ خارجى

كنا فى «شبرامنت»
بينما كان المطر ينهمر على كتفى الصغيرة
مبللاً ضفيرتها التى لم تَنْمُ بعد
وراء شباك شبه مغلق

(قطع)

تعليقاً على حدث :

هذا هواء مفتعل
هذا هواء لا يجئ

(نهاية ١)

II - أفسد الوقت لعبتنا الأخيرة

هذا بيت «سوسن»
والليل قبعة كبيرة
على أنف جرو صغير
شرائطها أظافرى .

••

سوف أشترى لك حوائط كثيرة كثيرة
لتعلقى عليها
لوحاتك السرية الملونة.

••

منذ متى ينبش العصفور رئتى ؟
منذ لقاء وضمتين

أحلم أن أنام بجوارك
نوماً طويلاً
مثل طفل.

••

متى سأحدثك عن « نوار البحر » ؟
والجفون التى انكسرت فجأة
فى آخر عربة فى المترو ؟
أفسد الوقت – بلحنيته الحمراء – لعبتنا الأخيرة
بين مقاعد المحطة
وذراع أمى .

••

كان الله يحول بينى وبينك
عندما لم يكن فى الأفق
غير الرمل الأحمر المعهود

وشارب أبى الرفيع

عندئذ فقط

أدركت أن السماوات لم يكن سبعاً

وأنك لم تكونى

سوى أرض واحدة .

••

أخونك

– كل ليلة –

مع امرأة مختلفة

هى أنت.

III- « بلاد الملح »

(إن رجوعك إلى بلاد الملح ليس
يعنى أنك صرت مرتاحاً تماماً)

هلْ غادر الفسفور طاولة الشتاء ؟

تزحف الغابات زحفها المقدس
تومئ لملح الطعام
تستفهم من الآتين :
ماذا صنعتم بقبعاتكم الزرقاء ؟
وماذا صنع الإسفلت
بحذاء رجل المرور ؟
والشتاء لم يبتدئ بعد
من حافة قرنفلة
إلى الصحف المطويات .. باسمك .

يصيد قمراً بقبعة

كنت أغرس جسدى

رمحاً

فى جنبات الليل

لكن العربة المفصولة – فجأة – عن القطار

والمستندة إلى حائط مبلول

كانت تخفى إعلاناً

عن الغائب الذى لم يعد

– هل كانت قطعة الخبز الجافة

أجمل من ضفيرة مسائية

بينما جسدى ... رمح منغرس

فى جنبات الليل؟!

بحجم فستقة مثلاً

قمر صغير يجلس القرفصاء – على شباك حجرتى

واضعاً سبابته على شفتيه المزمومتين

حتى لا يسمع الجيران شهقتى

قمر ينمو بين دهشتى وبين الشارع الملقى على رصيفين

يغزل نهاراً مرتجلاً

من خيوط النجوم المنصهرة

عند «بحيرة البجع»

حيث تبدو الزرقة محتملة

والسحب طافية

والسماء لا تحب السقوط

إذ يمسك بحلمتيها قمر

كان صغيراً (بحجم فستقة)

ليمارس طقسة الإضاءة الشهرية.

ملحوظتان

١- فى المخبأ السرى

كان الشاى متكئاً على طفل

ليرنو لحظة الإغفاء

لى

ولخصر فاتنة تحاصره الأصابع
٢- يروى أن رجلاً (ليس أنا بالطبع)
قد قذف رمحاً نحو السماء السابعة
- ولم يستشر الله فى هذا الأمر -
... فسقطت.

يونية ٩٤

« لأن الأرض قـد بزغت ،
فإنه من الطيب حرثها »•

• جملة وردت فى أسطورة «الأخوين» من مصر القديمة.

(حرب)

هجم البحر على الشاطئ

أشرع الشاطئ ناسه،

أشرع الناس أسلحتهم

ثم ... أطلقوا الرصاص.

(بداهة)

جيراننا .. الذين لهم أبناء فى المدارس

وبنات لم يفتهن قطار الزواج

.. لماذا نندهش عندما يطرق بابهم

أحد الغرباء ؟!

(لقاء)

الشبح الضخم الذى يلبس بذلة سوداء
وله أصابع فولاذية صدئة
عندما أغلقت فى وجهه الشباك
تقافز خلف ظهرى

فاستدرت له
فمد لى يده ... مصافحاً

(كشف)

بقعة
من زيت شعر الفتاة
بين آخر سطرين .. فى القصيدة

بقعة
بحجم هذه

□

تريد أن تنمو

لتبتلع الفتى

وأتباعه معه

بقعة أخرى

من الضوء .

فى ظهر الصفحة

تكشف هذا كله

(علاقة)

دبوس

له رأس دائرية

ويدان

وقدمان أيضاً

يقف على رأس الصفحة

يلقى بظله الطويل
على قصيدة ممسوحة

وعلى غير عادته
ينزل ابن الجيران
وفى ذراعه .. بنت الجيران
مشبوكة
بدبوس

(تعثر)

تخيل أكثر من عشرين قزماً
... أكثر من عشرين قزماً
هل يستطيعون إسقاط طائرة ورقية !

(بطولة)

لأننى ضارب جداً فى عمق الزمان

ولأننى أجيد شرب الشاى بالنعناع

ولأننى قطبت جبينى

لتعديل الميثاق

فإننى أعتبر نفسى - وكثيرين معى -

بطلاً.

(قريباً)

سوف أفصل بين شقى هذه الورقة

بخط كهذا

ثم أستلقى فوقه

وأبصق كل الحضارات .. وأدخن

، مدعياً أننى أبحث عن ذاتى

وسيصدقنى مغفلون كثيرون

منهم ... أنا.

قمر... على طاولة

(كيف تخلع ملابسك..
وأنت فى حضرة الروح ؟!)

كان يسير على شاطئ أول
مرتدياً وقتاً أولاً
متسائلاً
« أين يختبئ الليل ؟! »
ليس هذا البرج عاجياً تماماً
كل ما فى الأمر
أن الفتى – حين استأجره –
وجد لونه عاجياً
، وليس هذا الفتى
عادياً تماماً
كل ما فى الأمر
أنه – حين استأجر البرج –
كان عادياً
....

فى الحقيقة

لم يكن برج

ولا فتى

فقط – كنت أتخيل

قال لها الفتى :

« سأعوضك عن الأيام الماضية »

تنهدت

اشترى لها دباً قطنياً

وصور لها المحاضرات القديمة

.... ومضى

فجر يدغدع السماء الأولى

برفق

تنتفض

وتمسح عينيها الغافيتين

لن أسمح أبداً

بنساء يتعرين أمام الرب

ورجال

يدّعون القدرة على الاحتلام

سوف أحصد توقيعاتكم المزورة

من على لوحات (دالى) و (دافنشى)

وسوف أضع مكانها توقيعاتى

ثم أنام

مستريح البال

البنت القامت حالاً

نفضت جيب حقيبتها السوداء

ورفعت خصلات القلب

*

كان يمكننا إذن

أن نصبح هناك !

نعم

كان هذا شرعياً تماماً

ثم إننا - بالفعل -

قتلنا أربعة عشر قمراً

وعدنا

مبتسمين .

الأم التى اكتشفتها
« هويدا عبد الحميد » ..
فى تفسير البرتقال

(هذى مدائن اصطفتك، واصطفيتها)

« جاءت ... فاختمرت لغة »

وانبثق حواريون من الجعبة

يهتز بلا معنى

لاحناء لديها لا ترتيل

قد أطلق فى الغرفة من شهرين

ولا يمكن أن يتوقف

كثرت ساعات الرمل

تلغرافات بعث

يالقمامتكم ..

تنهض كى تنفض عنها ... كى تمضى

ما رامت قبعة وعكاز « تشارلى »

منسحبين من المشهد

فسأعلن عصيان قناديل الغاز

إيقاعك أبطأ من معتركى

(أم/لا/كى) يزحف نمل
من فوق الجبهة
كى يمضغ طرف الأنف
أسمى الأشياء (بأشياء)
فاستحيوا منى
وقتى منفعل جداً
وكذلك ياقة روحى البيضاء
إذا ما انكسر محار فى جوفى
وأنا أتحاور

سيجىء شتاءان .. اختارى أحدهما
ثم ألقى بالآخر فى اليم
فيلقيه اليم إلى الشاطئ
فأدحرجه
ولأنى أصبحت نحيفاً
جدا
سوف أمص شتائى
وأكور قنفذ صدرى فوق « يناير »

أعنى مالون قميصك ؟

وطريقة نومك ؟

أعنى أنى مجنون جداً بالقفازات

وأنى لأميل إلى أن يتقلب وجهى

بين «استقبال الأهرام»

وبين «شوارع سقارة»

ثبت صدرك بمسامير الطيف

فما يدريك لعلك تتنزل

من خشب ونهار

أو تتوقف أنفاسك

فوق السلمة الوسطى

كى لا تصعد نحو هديلك

فعلى أى حوائط قلب « هويدا »

ترسم عصفوراً أخرس تأكله الساعة ؟

وبأى النهرين شكل نحاتاً أعمى

تنهشه العنقاء؟

بأى أصابعها العشر تشير إلى قنبلة

.. وتنام ؟

اغرس رمحك فى وجه الملح

اقفز فى أحراش الدلتا

ماشئت

فقد حنط « جعران القلب »

انتشر حواريو الجعبة

وانتبهت لغة

من مرقدها .

(وجع هند بنت علي)

(نهد ينمو – كالبردى –
على شاطئ روح صبى،
، نهد آخر
يصهل فى بهو «الكرنك»)

١- بنت

على باب حارة برية
تفجأ بنت (قدت من بللورة زرقاء)
بالحمل
هى لا تعرف علاقة الشوارع بأسمائها
أنا – مثل طفل بغير ذاكرة –
أمسح نظارتى (التى لم تكن ملونة فى الواقع)
ملحوظة : « عندما اقتربت من سريرها شبه العارى
محاولاً تقبيلها .. انكسرت فرشاة الأسنان فى يدى »

٢- رفـــات

جنية .. كانت تمشط شعرها المبلول

حين أجاءها وجع الماض

أفرتّلتْ :

« نيل السماء على حدود رفات »

٣- وجع

يا ابنة البخور والخرز الملون

هل شاهدتنى أعود مساءً

متأبطاً ذراع جثتى – رفيقتى

التى تطل من الشباك المثلج

حيث الشجر كشيوخ سود

وحيث لا تترك اللواتس موطنها أبدا ؟

ستمر سحابة حمراء (أو هكذا تبدو)

من تحت أنف سماء

كأن عالماً سيخلق هناك .. فجأة

٤- الدخول إلى حقول الرئة

فلتقرءوا للمواعيد

ماتيسر من صمت

، ومن وقت

، تراحيل

كى تدلف الأرض من « شبرامنت »

متكئة على عواء الطمى

عجوز ترمش :

« أى الأبواب سيؤويك

وأننى تعلق

ماتيسر من سور الصمت

على جُدُرُ

تراحيل ؟! »

« تذكرنى شقوق الوقت »

طفلة مرت على كفى ، وقالت : «لا أراك»
سماء ماشئت أيتها العجوز - سميتها
(بنتاً)   فمرت على قلبى وقالت : «أراك»
، فسميتها هاجر

يهبط الفجر المجنح على مرآتى الفارغة، فتسكبنى الشوارع
... شاياً ، فأنمو على طرف فستان فى الخامس من عمره .
كوب من الوقت النقى   (قبل الأكل أو بعده ... لايهم)
صف من العابرين   (صباحاً أو مساء ... لا يهم)
عجوز تصل شعاب السماء المرجانية (على عصا أو بدون
ذراع.. لا يهم)
فلا تسقطوا من عباءتى فجأة ، لمجرد أن السماء مسجاة
على قمح ، أو لمجرد أن « هاجر » نقرت زجاج قلبى ثلاث مرات
سأرقبها
ربما تأتى فجأة - كعادتها - بين شارتى مرور ..

فألمسها

.. تعبر الدم المفكوك مثل ضفيرة

ثم من أول السطر ..

تعبر الدم المتجلط فى الإناء

فأصحو مع دقات المسحِّر العجوز

مندهشاً

– كعادتى –

كأنها المرة الأولى

فينحت الفجر مئذنة من الطمى

الشارع الأزرق منحوت (كما قال الصغير)

تأخر أبى – لا تنتظره وكُل وحدك

«عيد بأية حال» .. يجىء الشاى ؟

هل هذا الذى يزيح النهار عن نظارتى – لأن أباه تأخر مرة–

يتعلق بياقتى المقطوعة .. دون قصد ؟!

سأهيل عليك الوقت

لأننى :

قد مر زمن الياقوت فجأة من أمامى ... كقبعة

عندما دقت ساعة الجامعة.. فشلت فى تحنيطها.. رغم عام من الكتان

رأيتنى أكتب قصيدة ، ولم أسترح لهذا المشهد.

فاصلة يناير

وكثيراً ما كان الحقل يطل من الترعة متشحاً برداء الجلد

أواسى الإسفلتيين جميعاً بالريق

أيدى نجم ما أن زوايا الأخضر ترتع فيها مأثورات الزقوم

وتبريح دخول الحامل فى شهر الوضع ، كأبطإ مما يتخيل

مثلى؟

يامن تحبو منفرداً

تسبقك غزالات الرمح

المشفوع بجسم الليل

فبعض الخردل يمنحنا تذكارات من ورق

، «سانتاكلوز» يبشرنا بالوطن على بالونات السقف الموشومة

بالعرى وبالناسين ، إذا اعتصموا بالألوان

(قيل إذا انفرد الماء برئة

صارت رئتين وطفلاً)

ماذا لوخرج الخراطون يشقون لحوم العربات ، ولم أبلغ

مجمع بحرين ؟!

وماذا لونام الأطفال على رئة رصيف يمنحهم أكسوجين

الوقت ؟

وهل للوقت .... ؟

لقد كان النهر لصيقا بى

حين مررت على الأرض المثقوبة

قررتُ الإسفلتَ أخيراً يالينابر يمنحنى ذاكرة دوماً

هل عثر الترابون على هدبى طفل أو عينى تابوت أو سرج أو مصل أو بعض من ورق التوت ؟

فهل أمضى متشحاً بالرمل !!

لهذا الكون فضاء آخر غير فضاء الروح احتشدت ديناصورات التاريخ على سلم مستشفى عام :

قال النوتى

ومالى بالإسفلتيين

وكيف سأخبركم

لو كان البحر مداداً أو آجراً أو وشما ؟!

لوظل الحقل يطل من الترعة متشحاً برداء الجلد فسوف أظل أواسى الإسفلتيين .

فراشات صغيرة بيضاء
تطارد باصاً عمومياً

(شخص ما .. يستعير جسدى

ثم ... يموت)

أثناء غيابك ..

كبر الأطفال كثيراً

صاروا أطفالاً – شيوخاً

كبرت البنات كثيراً

صرن عجائز بضفائر

... والهواء الملح مازال

يتخلل كفك العرقانة

بين sleeping Beauty

والقناطر الخيرية

لأنك تملك ذكرة

وكما مبلولاً

وحكايات ثلاثاً

وهكذا ..فسوف يطرق بابكم كثيرون هذا المساء

فلا تأخذ خيل الله إلى الأسرة

فأبوك يطل من الكوة

أبوك الخامس والعشرون :

نبوءة خردل

وقطيع حمام

أبوك الطالع من بخار السكر المحترق

يوقع باستلام كبدك

فيصرخ أمين المخزن

– الذى تتدلى نظارته فوق وجهه المستعار –:

« قضى الأمر الذى فيه تستفتيان »

الملائكة يحفرون تحت قدميك المثلجتين

الملائكة الكرام .. يكفنونك بلفائف الزجاج

باتجاة الموت الأبيض المتوسط

....

الآن تجىء أمك

تلف كتفيها بشالها العريض

.. ربما لتقف فى المطبخ قليلاً

.. تسألك عن الجو بالخارج

.. تبتسم فى وجهك ابتسامة ذات معنى

قبل أن تغادر مرة أخرى

إلى قبرها النابت عند حافة النيل السماوى

ربما ..

تجىء أمك

كى ..

تغادر

هكذا

- كوحش قديم -

اكتشف الولد فجأة

كل هذه السكك فى وجهه

عندما نظر فى المرآة

وأنت ماتزالين

تمنحين ابناً جديداً

لإله قديم .

المحتوى

صدر مؤخرا من هذه السلسلة

الأعمال القادمة

غادة الأساطير الحالمة .... محمد العشرى

يحدث.. عبد الحفيظ طايل

أصداء التراتيل الصامتة.................... محمود قنديل

ص .... على الدكرورى

صورة الحزن الدائم........................ محمد صالح البحر

حروف ونقط دم .... فتحي البريشى

صلوات الأرض.............................. ماهر مهران

دفء الأمكنة .... محمد رفاعى

لعب عيال .... عبد الحكيم محمود

أحلام منسية .... طارق هاشم

ولا عفريت تؤرقه البلاد .... محسن عبد العزيز

وسط دايرة الانتحار .... محمد البرعى عبد الصمد

ورد الشتاء .... أشرف الخريبى

التوهم .... وائل فوزى

تفاصيل .... محمود حسن حماد

الفوارس .... محمد نجار الفارسى

كنت أغرس جسدى

رمحاً

فى جنبات الليل

لكن العربة المفصولة - فجأة -

عن القطار،

والمستندة إلى حائط مبلول

كانت تخفى إعلاناً

عن الغائب الذى لم يعد

- هل كانت قطعة الخبز الجافة

أجمل من ضفيرة مسائية،

بينما جسدى ... رمح منغرس

فى جنبات الليل ؟!



يرجع العاديون مكبلين بالياسمين

وسام جلال الدويك

خمسون قرشا

شركة الأمل للطباعة والنشر